أسباب الثورة الإسلامية فى إيران ١٩٧٩

الباحثة/ داليا مؤنس عوض

مفهوم الثورة بشكل عام وكما هو متعارف عليه في العلوم السياسية هو " تغيير شامل وأساسي لنظام بالٍ ، يشمل هذا التغيير كافة المجالات السياسية والإجتماعية والإقتصادية ، غالباً ما يواكب هذا التغيير بالعنف والدمار وإراقة الدماء.

أما مفهوم الثورة من الرؤية الإسلامية ، فهو نوع من الجهاد الباطني تقوم به طائفة لله ، وفي سبيل الله ضد طائفة كافرة تحيد عن طريق الله [١].

ففي الأعوام القليلة التي سبقت الثورة الإسلامية ١٩٧٩ لم تكن الجماعات المقاومة التي أدارت ما يشبه "حرب العصابات" ضد نظام الشاه تستطيع تحقيق إنتصار نهائي ، فالثوار لم يكونوا قادرين على الحسم ، كما أن الحكومة كانت عاجزة عن التصدي لهم ، وشهدت سنتا ١٩٧٧و ١٩٧٨ مأزقاً لكلا الطرفين ، فالثوار باتوا مستنفرين من السجون والإعدامات والملاحقة ، والشاه كان يواجه أزمة في شرعية نظامه الإمبراطوري داخلياً وخارجياً ، وفي مثل هذه المرحلة جاء دخول الشعب إلى ساحة المواجهة عاملاً حاسماً كان له أثره المهم في الخروج من المأزق لمصلحة الثورة. [٢]

في الواقع لم تقم الثورة بسبب الأخطاء السياسية التي حدثت في اللحظات الأخيرة، بل نشبت مثل بركان بسبب ضغوط سحيقة كانت تتراكم بشكل متزايد على مدى عقود في عمق أحشاء المجتمع الإيراني ، وبحلول عام ١٩٧٧ كان الشاه يجلس على هذا البركان [٣].

والجدير بالذكر أنه في عام ١٩٧٦– وأثناء ذكرى مرور نصف قرن على قيام حكم أسرة آل بهلوي– جمعت مظالم الشعب في ورقة منشورة للمعارضة في المنفى في باريس ، وهي مقالة عُنونت ب (خمسون عاماً من الخيانة) كتبها أبو الحسن بني صدر – الذي أصبح فيما بعد أول رئيس للجمهورية الإيرانية بعد الثورة– وقد إتهمت المقالة النظام بخمسين جريمة في مجالات السياسة والإقتصاد والثقافة والمجتمع، فشملت إنقلاب عام ١٩٢١ و١٩٥٣، وسحق القوانين الأساسية بالأقدام وجعل الثورة الدستورية محلاً للسخرية ، ومنح إمتيازات تذكر بإستعمارية القرن التاسع عشر، وتشكيل تحالفات عسكرية مع الغرب،و إغتيال المعارضين، وفصل الضباط الوطنيين من القوات المسلحة، وفتح الإقتصاد الإيراني

أمام الشركات الأجنبية، والإستيلاء على المؤسسات الدينية ، تأسيس دولة الحزب الواحد مع توافر النية للسيطرة التامة على المجتمع، وتصرخ المقالة بأن (هذه السنوات الخمسين تحتوي على خمسين خيانة).[٤]

لقد شهدت إيران على مدى أكثر من ١٥٠ عاماً (١٨٢١-١٩٧٩) ثلاث ثورات، ثورة التبغ عام ١٨٩١، والثورة الدستورية عام ١٩٠٦، والثورة الإسلامية ١٩٧٩.[٥]

أسباب الثورة الإسلامية ١٩٧٨- ١٩٧٩:-

أولاً: الأسباب السياسية:

في ظل حكم محمد رضا بهلوي لم تحظ القوى السياسية بالقبول الإجتماعي أو بالقاعدة الشعبية ، حيث تعتبر فترة الأربعة عشر عاماً الأولى لحكمه (١٩٤١-١٩٥٥) من أكثر الفترات توتراً في حياة إيران السياسية ، فوقعت تحت إحتلال قوات الحلفاء ، وكان الشاه يدين بالولاء لهم لمساندتهم إياه للوصول إلى أريكة الحكم ، وفي هذه الفترة ظهرت على الساحة السياسية في إيران مجموعة من الأحزاب السياسية منها على سبيل المثال لا الحصر (همرهان – آزادي – ميهن برستاند – مليون إيران – توده – فدائيان إسلام) ولكي يحكم الشاه قبضته ، قام بتشكيل أحزاب شبه عسكرية ، وبث عناصرها داخل الجيش والمجتمع ومنها حزب " سوسياليزم " – ملي كارگارانه إيران وإختصاره رسومكا " و"حزب آيار " وهو حزب متفرع من الحزب السابق ، وفي عام ١٩٦٠ رغب الشاه في توحيد الأحزاب في حزب واحد هو حزب "رستاخيز" أي " النهضة " وكان يعني بذلك وقف نشاط المعارضة ودمج الموالين له في حزب واحد ، وقد أعلن الشاه في أحد أحاديثه التليفزيونية أن على شعبه الإنضمام لعضوية هذا الحزب ، ومن يعارض ذلك عليه الخروج من إيران، فبدأت بعض الشخصيات السياسية البارزة تنسلخ عنه ، وتعيد إنشاء أحزاب كانت موجودة من قبل، وعلى الفور أعلن الخميني فتواه بتحريم المشاركة في الحزب لأنه يتعارض مع الإسلام ومصالح الشعب وبمخالفته للدستور وللموازين الدولية ، ولكن تم فرضه بأمر ملكي أرغم أفراد الشعب على الإنضمام إليه كي يتفادوا مصيرهم المحتوم ، ولم يكتف الشاه بعدم تفعيل النشاط السياسي داخل المجتمع من خلال الأحزاب المتنافسة ، بل كان يتبع سياسة " فرق تسد " وملء الإدارات الحكومية بعيونه ، وفرض الرقابة على المطبوعات بحيث لم يجرؤ شخص على نقد الشاه أو أحد المقربين منه. [٦]

وبالتأكيد كان الشاه مخطئاً حين ظن أن تكميم المعارضة سيكون له نتائج إيجابية ، وإن كان له نتائج إيجابية فكانت على المدى القريب ، فالحياة السياسية في أي مجتمع تقوم على المؤيد والمعارض حتى ينهض هذا المجتمع ، إلا أن الشاه لجأ للحل الأسهل والأسرع ، فبدلاً من التحاور مع المعارضة لفهم وإدارك ما تعانيه إيران من مشكلات ومحاولة حلها ، لجأ إلى حل جميع الأحزاب وضمها في حزب واحد تابع له ، فكان لذلك نتائج سلبية على المدى البعيد.

ثانياَ:الأسباب النفطية والإقتصادية:-

من المعروف أن الشاه رفض المشاركة في حظر النفط عام ١٩٧٣ – كما ذكرنا في الفصل السابق- مما أكسبه سمعة كرجل دولة قوي ، لكن الشاه أيضاً رتب إتفاق طهران النفطي في ديسمبر ١٩٧٣ ، والذي تسبب في رفع أسعار النفط أربعة أضعاف في غضون ١٢ شهراً ، وبالرغم من هذا ، إحتل الإمبراطور محمد رضا بهلوي منزلة مودة خاصة لدى ريتشارد نيكسون ، وكان الملك فيصل قلقاً من التأثير المالي والسياسي لإرتفاع أسعار النفط على أصدقاء السعودية في الغرب ، فكان أكثر من يستفيد من إرتفاع أسعار النفط ، هم العراق الحليف المدعوم بقوة من الإتحاد السوفيتي ، وإيران التي إستخدمت دخلها النفطي في بناء قوة عسكرية ضخمة في منطقة الخليج ، وكان كلاهما (العراق وإيران) خصمين قديمين للسعودية في منطقة الخليج.[٧]

يجب هنا ملاحظة أن النفط كما هو مذكور في الفصل الأول ص١٥ "مادة لا يستطيع أي مجتمع صناعي الإستمرار بدونه ، فوجب توفيره ولو بالقوة العسكرية"، بالتالي فقدان النفط يعني إنهيار الدولة ، فإذا كانت دولة عظمى بحجم الولايات المتحدة تبذل قصارى جهدها لضمان إستمرار تدفق النفط ليس فقط لها بل ولحلفائها وبأسعار مناسبة ، ويقف الشاه كعقبة في تحقيق هذا الهدف ، فطبيعي أن تشعر الإدارة الأمريكية بأن الشاه شوكته أصبحت قوية ،و لم يعد الحليف الإستراتيجي لها بسبب تغير الظروف الدولية.

و في ٤يونيو ١٩٧٤ أطلع سايمون* الرئيس نيكسون على نتائج جولته وبدأ بإبلاغ الرئيس أن الوقت بدأ ينفد إذا كان الرئيس يريد تفادي كارثة إقتصادية عالمية [٨]، وفي ١٧ أغسطس ١٩٧٤ تطرق كيسنجر- وزير الخارجية الأمريكية- إلى موضوع النفط والشاه في

المكتب البيضاوي مع الرئيس جيرالد فورد *Gerald Ford*، بعد تقديم نيكسون لإستقالته ، وقد أدلى كيسنجر بخمسة تأكيدات غير عادية :-

أولاً : قبل فكرة أن الشاه هو المفتاح لخفض أسعار النفط.

ثانياً: إعترف بمعرفته سلفاً أن الشاه كان يخطط لزيادات إضافية للأسعار.

ثالثاً : رفض عروض السعوديين للمساعدة بصفتها غير مجدية ولا ينبغي أن تؤخذ على محمل الجد.

رابعاً : إعترف أن الولايات المتحدة قد فقدت نفوذها الإستراتيجي على واحد من أهم حلفائها.

خامساً : حذر كيسنجر فورد من أن نظام الشاه لم يكن قوياً كما يبدو ، وأنه لا يمكن إيقاف سعيه إلى رفع أسعار النفط من دون تحطيمه.

وعندما دعا فورد علناً لتخفيض أسعار النفط في سبتمبر ١٩٧٤ ، رد الشاه بعبارة نارية لا تنسى " لا يمكن لأحد أن يملي علينا ما يجب عمله ، ولا أحد يستطيع التلويح بإصبع الإتهام إلينا لأننا سنلوح بأصبعنا له" ، وكما قال أحد مسؤولي الإستخبارات الأمريكية وهو في حيرة من أمره حول ملك الملوك هذا–البالغ من العمر ٥٥ عاماً ، والذي إستعاد عرشه عبر إنقلاب نفذته وكالة الإستخبارات المركزية عام ١٩٥٣– " لقد كان طفلنا ، ولكنه الآن كبر وأصبح رجلاً" [٩].

حاول الشاه بذلك الخروج عن الدور الذي رسمته له الولايات المتحدة فكانت العواقب وخيمة.

على أي حال ، حذر فورد بأشد العبارات الممكنة في ٢٩ أكتوبر ١٩٧٦ ، من عواقب رفع أسعار النفط مرة أخرى ، وفي ديسمبر ١٩٧٦ أثناء إجتماع الأوبك صعق السفير السعودي (علي عبد الله) الوفود بقوله " إن المملكة العربية السعودية ستكسر السعر المعروض من منافسيها وتزيد إنتاجها من ٨.٦ إلى ١٠.٦ مليون برميل يومياً (لخفض السعر رغم أنف الشاه) وهكذا أعلن أحمد يماني وزير النفط السعودي ولأول مرة أن السعودية ، أكبر منتج للنفط في العالم أصبحت أخيراً زعيمة أوبك الحقيقية وليست إيران.[١٠]

وبحلول أواخر عام ١٩٧٦ ، واجه نظام آل بهلوي أزمة نقد وإئتمان حادة بعد الزيادات الهائلة في أسعار النفط عام ١٩٧٣ ، كما شهدت المدن الإيرانية ضرراً شديداً نتيجة نقص

الغذاء وإنقطاع التيار الكهربائي ، وإختناقات المرور ، ونزوح طوفان من العمال الشباب غير المهرة من المناطق الريفية إلى المدن بحثاً عن العمل ، وأدت قسوة ما عانوه وجربوه في المدن إلى نقمة عارمة على النظام ، كما أدى إلى زيادة الغلاء الضعف سنوياً ، وإرتفاع نسبة التضخم إلى ضغوط إضافية على الإقتصاد وزيادة معاناة الشعب، فمع بزوغ فجر السنة الجديدة ١٩٧٧ ، إنخفضت مبيعات النفط الإيراني حوالي٢ مليون برميل يومياً.(١١)

لذلك رسم أسد الله علم وزير البلاط الملكي صورة قاتمة للسنة الجديدة في ١٦ يناير ١٩٧٧* "... إنقطاع طويل للطاقة الكهربائية في عموم البلاد ، بطء مخرجات الصناعة ، الخسائر المالية الجسيمة ، المواصلات المتردية ، القصور في المواد الغذائية (الرغيف خاصة) ، التضخم المرتفع والرهيب ، إستصدار قوانين جديدة دون أي إعداد أو تنويه ، كل هذه الأشياء كانت تتم بتخريب متعمد في الداخل أو عن عجز واضح ، وعبوديتها للمخابرات المركزية الأمريكية وغيرها من المنظمات ، إنها الحكومة ذاتها التي تستحق المساءلة بإعتبارها المسؤول الرئيسي عن الخراب ، لقد بددنا كل مليم لدينا لنجد أنفسنا في وضع المكشوف المهزوم ، نحن الآن في وضع حرج مالياً ، وعلينا أن نشد الأحزمة إذا أردنا أن نحيا " (١٢) ، وكتب صحفياً ألمانياً يصف وضع إيران بأنه (قريب من درجة الغليان) ، وفي لندن كتبت صحيفة التايمز في إفتتاحيتها أن " إقتصاد إيران بدأت تظهر عليه علامات إنزلاق نحو فوضى كاملة ، وهناك أعراض خطيرة لإضطرابات إجتماعية " (١٣).

وفي رأيي أن قيام الشاه برفع سعر النفط كان له فوائد على المدى القريب وكوارث على المدى البعيد بالنسبة لإيران ، فعلى المدى القريب إستطاع الشاه الحصول على الكثير من المعدات الحربية والطائرات والأسلحة نتيجة عائدات النفط العالية ، أما على المدى البعيد فتسبب في حدوث خلل في العديد من الدول الصناعية، وبالتالي شرب الشاه من الكأس الذي ينبغي من وجهة نظر الولايات المتحدة أن يشرب منه كل من تساوره نفسه بالخروج عليها ، فكانت نهايته.

وبالإضافة إلى ما سبق ، إعتقد الشاه أنه في أشد الحاجة لإنهاء الإقطاع وخلق إقتصاد سوق مرتبط بأسواق رأسمالية غربية ، فقد كانت لديه رؤية إجتماعية زائفة حيث

هدفت إلى سيطرة الدولة على مفاتيح القطاعات الإقتصادية ، وإستخدام كافة الوسائل شاملة العسكرية من أجل التحكم في الأسعاروالتضخم[١]، فتشيرالإحصائيات في نهاية العقد الخامس والسادس والسابع ، من القرن الماضي إلى التأثيرات المدمرة التي شهدها الإقتصاد الإيراني ، وذلك لإنفتاح أبواب إيران أمام السلع ورأس المال الأمريكي ، مما أدى إلى إغلاق عشرات المصانع ، نتيجة للمنافسة وفتح أبواب البلاد أمام البضائع الأجنبية ، مما أدى إلى تدمير الإقتصاد الوطني وتفشي البطالة بصورة واسعة في البلاد ، وبالتالي أُجبرت الحكومة على المطالبة بقروض طويلة الأجل من أجل سد عجز الميزانية. [١٤]

وبحلول منتصف السبعينيات كان تجار البازارات بل وحتى أعضاء الطبقة الصناعية الجديدة الذين إستفادوا إلى حد كبير من خطط الشاه التحديثية إما ساخطين وناقمين على حكمه أو معارضين سياسيين ، كما أنهم كانوا معارضين لجهوده التحديثية[١٥]، لذلك عملوا على التحالف مع رجال الدين من أجل تكوين تحالف مضاد للدولة.

لقد كان السبب الرئيسي لعداء تجار البازارات للشاه يتمثل في سياساته الإقتصادية ، حيث إتبع الشاه سياسة تصنيع فضلت الطبقة الوسطى البورجوازية الحديثة على الطبقة الوسطى الإيرانية التقليدية ، فكان رجال البازارات خلال عقد السبعينات يتحكمون في أغلب حركة الإستيراد الوطنية بمقدار ثلثي الحجم الكلي للتجارة ، لذلك وضع رجال البازارات أيديهم في أيدي رجال الدين من أجل التمرد على الدولة.[١٦]

ويجب هنا ملاحظة أن هذه لم تكن المرة الأولى لإتحاد التجار ورجال الدين ، فقد حدث ما هو مشابه خلال أحداث ثورة التبغ.

ليس هذا فحسب ، بل كان الشاه يصرح دائماً بأن البازارات هي أشبه بأحياء مدينة غير صحية ، وأن تجار البازارات متشددون للغاية ، ومعارضون للتغيير "... إلا أنني لن أتوقف عن بناء السوبر ماركت ، فأنا أريد دولة حديثة ، وبالتالي التحرك ضد تجار البازارات من الضروري لأجل التحسين"، [١٧] لذلك قامت المحاكم النقابية التي شكلها السافاك بإصدار ٢٥٠.٠٠٠ حكم بالغرامة المالية حتى عام ١٩٧٦ ، وأغلقت نحو ٢٣.٠٠٠ دكان ومتجر، وقضت بالسجن من شهر إلى ٣ أعوام على ٨.٠٠٠ بائع وتاجر.[١٨]

ثالثاً : الأسباب الإجتماعية :-

على الرغم من عائد القيمة الإجمالية للدخل النفطي لإيران في الفترة من ١٩٥٣-١٩٧٨ والذي بلغ نحو ٥٤ مليار دولار ، إلا أن هذه الأموال قد بُددت على بناء القصور للأمراء والرحلات الملكية الطويلة ، والمهرجانات الضخمة ، وأحواض الإستحمام المصنوعة من الذهب الخالص ، والأسلحة البالغة التطور التي تعد باهظة التكاليف حتى بالنسبة لبلاد كثيرة من أعضاء حلف الأطلسي ، وعلى الرغم من أن نمو الصناعة الحديثة كان ملفتاً للنظر، وإزداد عدد المصانع الصغيرة والمتوسطة والكبيرة، [١٩] وكذلك تمويل النظام لهذا النمو الإقتصادي الملفت، إلا أنه مع ذلك لم يكسب تأييد الكثير لسببين رئيسيين :

أولهما : أن إنقلاب عام ١٩٥٣ بإطاحته بالزعيم الشعبي الدكتور مصدق وبتدميره نقابات العمال والإتحادات المهنية ، وكل الأحزاب السياسية المستقلة قد أحدث هوة سحيقة – يمكن للمرء أن يصفها بأنها لا يمكن إقامة جسر عليها – بين النظام وهاتين الطبقتين الحديثتين.

ثانيهما :أن الطبقات المتوسطة والدنيا لم تكن لها جماعات ضاغطة تستطيع من خلالها أن تغير قرارات الحكومة أو تعارضها سلمياً ، فبعد أربعة عشر عاماً من الثورة المسماة بالثورة البيضاء ، ظل ٦٨% من البالغين أميين ، وإرتفع عددهم من ١٣ مليون إلى ١٥ مليون ، وعلى الرغم من إيرادات النفط الهائلة فإن طهران – وهي مدينة كان يعيش فيها آنذاك أكثر من أربعة ملايين نسمة – كانت بدون شبكة صرف صحي ، ولا شبكة للقطارات تحت الأرض ، ولا شبكة سليمة للنقل العام ، وقد تساءل شقيق الشاه يوماً – في عبارة تُذّكر بما قالته ماري أنطوانيت – وكان يملك مصنعاً لتجميع الطائرات الهليكوبتر " إذا كان الناس لا يحبون زحمة المرور فلماذا لا يشترون طائرات هليكوبتر ؟ " ، يقول هذا وقد حُرِم ٩٦% من القرويين من التيار الكهربائي.[٢٠]

لقد فشلت خطط الشاه في تحقيق (ثورة بيضاء) تستند إلى إحتياطي النفط ومساندة الغرب ، فشلت في الأخذ بعين الإعتبار قوة المعارضة الإيرانية لإصلاحاته حيث كان الإشتراكيون والوطنيون ، يعارضون حكم الشاه السلطوي والفساد السياسي لنظام حكمه ، ومما أدى إلى زيادة المعارضة ضده ، الظروف الإقتصادية الصعبة التي سببتها المشاريع الصناعية المكلفة ، والتي أدت إلى التضخم السريع. وبحلول نهاية السبعينيات كانت

الأوضاع الإجتماعية والسياسية في إيران منذرة بقيام ثورة ،[٢١] فقد كان أكثر من ٥٥% من الإيرانيين البالغ عددهم ٣٧ مليوناً عام ١٩٧٧– ١٩٧٨ أقل من سن العشرين ، ومن بين ال ٣٧ مليوناً كانت النساء تمثلن النصف تقريباً وغالبيتهن ربات بيوت ، فقوة العمل الفعلية في إيران عام ١٩٧٨ كانت ٩ مليون ، كما عاش ٤ مليون فقط في مناطق حضرية ، وكان حوالي مليون شخص يعملون في الخدمات العسكرية والتعليم وباقي الخدمات ، و١.٢ مليون عامل أجنبي في البلاد ، بالإضافة إلى أن عدد المنضمين إلى التعليم الجامعي كان قد بلغ ٤٨.٠٠٠ عام ١٩٦٩ ، وإرتفع العدد إلى حوالي ٣٠٠.٠٠٠ عام ١٩٧٧، و٣٥٠.٠٠٠ عام ١٩٧٨، كما كان هناك أكثر من ١٠٠.٠٠٠ طالب خريج من المدارس العليا لم يتمكنوا من الإلتحاق بالجامعة ، هؤلاء كانوا العناصر الثورية وإنضم إليهم العاطلون الباحثون عن العمل.[٢٢]

لقد أُدين القائد العام للبحرية في سنة ١٩٧٥ بإختلاس ٣.٧ مليون دولار ، بينما تورط القائد العام للسلاح الجوي – وكان شقيقاً للشاه – في مخطط إبتزاز بقيمة خمسة ملايين دولار ، وبحسب تعبير الصحيفة الدولية للقوات المسلحة الأمريكية (بحلول عام ١٩٧٧ كان معدل الفساد قد بلغ الغليان)، [٢٣] فشهدت حكومة عباس هويدا (يناير ١٩٦٥ – أغسطس ١٩٧٧) ظاهرة الإرتشاء بين الموظفين ،و الإختلاس من أموال الحكومة ، وأصبح لأغلب المسؤولين الكبار حسابات مصرفية في الخارج يودعون فيها المبالغ التي إختلسوها ، حيث أعلن موظفو البنك المركزي الإيراني تهريب ملايين الدولارات أواخر عهد الشاه إلى الخارج، وشهد عام ١٩٧٨ قيام ١٧٨ مسؤولاً حكومياً ، وكبار الضباط بتهريب مليارات الدولارات أيضاً في شهري سبتمبر وأكتوبر فقط.[٢٤]

و بالإضافة إلى ما سبق عمل الشاه على تغيير الوعي الثقافي* لشعبه من خلال التفخيم في شخصه وأنه منقذ إيران من حالة التشرذم التي كانت تعيشها قبل توليه ، وأنه قضى على ملوك الطوائف الذين كانوا في الدولة القاجارية ، ليس هذا فحسب ، بل كان يرى نفسه بمثابة حلقة الوصل بين العظمة التي كانت عليها إيران قبل ظهور الإسلام ، وإيران الحديثة التي تعمل في ظل القيم الغربية.[٢٥]

بذلك تمكن الشاه من أن يوجه نظاماً قادراً فقط على أن يحمي نفسه ، عاجزاً عن إرضاء الشعب ، وكانت هذه هي نقطة الضعف الأكبر في تاريخه.(٢٦)

رابعاً: بذخ العائلة الملكية وكبار رجال الأعمال:-

لقد وجدت في إيران أربعون عائلة إستطاعت دوماً أن تحتفظ بقوة مركزها وتأثيرها ، وفي فترة حكم الشاه إحتفظت هذه العائلات بمراكزها المتميزة ، من بين هذا العائلات ثمة عشر عائلات ، مثلت العائلات الاكثر أهمية والأكثر نفوذاً ، وهي (بهلوي – ديبا – عالام – قاراجوزلي – أصفانديارى – اردلان – ساميين – فرمانغرميان – مهدوي – بوشيري) وتجدر الإشارة إلى أن كلاً من هذه العائلات العشر كانت تمت بصلة مباشرة للشاه.(٢٧)

كان بذخ العائلة الملكية وكبار رجال الأعمال من أهم الأسباب التي أدت إلى قيام الثورة الإسلامية ، ففي ٢١ فبراير ١٩٥١ زفت ثريا – الزوجة الثانية للشاه – في فستان بلغ وزنه عشرين كيلو جراماً وكان مرصعاً بفصوص الزمرد والماس، وكانت الطرحة والتاج ثقيلين إلى حد كبير، فطول الطرحة وصل إلى عشرة أمتار ، وفي أكتوبر ١٩٦٧ توج الشاه نفسه ، وهي ظاهرة لا تحدث إلا في النادر، فليس من المألوف أن يضع الحاكم التاج على رأسه بيده، إلا أنه فسر ذلك بأن " الشعب الإيراني أصبح يعيش في رخاء وطمأنينة "، ليس هذا فحسب ، بل أطلق على نفسه لقب (اَريا مهر) أي نور الاَريين ، بالإضافة إلى لقبه (شاهنشاه) أي ملك ، وأمر بصنع تيجان جديدة من (كارتييه *Cartier*)- أكبر محل مجوهرات في باريس- ورصع تاجه الخاص ب ٣٣٨٠ جوهرة، وتوجت زوجته فرح بهلوي بتاج إحتوى على ١٦٤٦ جوهرة ، وكان هو نفسه- الشاه – يجلس على عرش يُعرف عرش الطاووس، هذا العرش كان مرصعاً ب ٢٧ ألف جوهرة ، وإستقل الشاه يومها عربة ملكية مذهبة كان ثمنها ٧٨ ألف دولار.(٢٨)

و تذكرمينوريفيز * في مذكراتها " كانت العائلة الملكية مدعوة إلى حفل في (شيميران) ضمن ١٥٠٠ مدعو من كبار رجال الصناعة في إيران، وذلك بمناسبة زفاف إبنة أحد هؤلاء الكبار، وكان الحفل ظاهر الفخامة، بديعاً فاخراً ،فقد قدم العريس لعروسته هدية عبارة عن فيلا في (بڤرلي هيلز *Beverly Hills*) ، وسيارة ماسيراتي *Maserati*، وعقد من الماس لا يقدر بثمن، ونص عقد الزواج على أن يدفع العريس حوالي ٣ مليون دولارفي حالة

الطلاق كمؤخر صداق، عشنا في تلك الليلة حفلاً أسطورياً ، نقل إليه مطعم (مكسيم *Maxim*) الباريسي الشهير البوفيه كاملاً ، وإزدانت حديقة القصر بالمشاعل والمياه الملونة وشرب الجميع الشامبانيا في ذلك اليوم". (٢٩)

كل هذا البذخ والإيرانيون في جنوب إيران يعيشون في أكواخ من الصفيح والكرتون.

أيضاً كان الشاه وراء إعداد جزيرة قيش أو كيش في الخليج لتكون مكاناً للهو والخلاعة ، والتي سميت (نيو مونت كارلو *New Monte Carlo*) وهي تبعد عن الساحل الإيراني بحوالي ١٧ كيلومتراً ،فقد أُقيم فيها كازينو عالمي للقمار (بإعتراف فرح بهلوي نفسها) وهي التي كانت تقوم بالدعاية له ، وكان كل ما في هذا الكازينو مستورد من فرنسا بكل أجهزته ، وأثاثاته ، وكانت الفتيات تأتين أيضا من فرنسا بحجة تشجيع السياحة ، أما الشاه نفسه فلم يذهب مرة واحدة لأداء الصلاة في أي مناسبة دينية وسط رجال الدين وأفراد الشعب ولو مراعاة لمشاعرهم.(٣٠)

لقد وصل الشاه إلى ذروة جنونه بالإحتفالات في أكتوبر ١٩٧٢ ، حينما تم الإحتفال بمرور ٢٥٠٠ عام على قيام الحكم الملكي ، وأقيم الإحتفال الذي كان يتسم بالعظمة البالغة بين أطلال عاصمة الأخمينيين السابقين (برسوبوليس) التي بناها داريوس الأول عام ٥٣٠ قبل الميلاد ، فتحولت إلى مدينة من الخيام بشكل أسطوري ، لكل ممثل دولة خيمة مستقلة ، وكل خيمة مبطنة بالحرير تحتوي على حجرة معيشة وحجرة نوم ومطبخ، أما الخيمة نفسها فقد إتسعت لستين خيمة تفصل بينها ممرات تحمل أسماء القارات الخمس، فقد كان العالم كله مدعوا بقاراته الخمس ، ولو كان بالإمكان دعوة سكان اَخرين على كواكب أخرى ما تردد الشاه ، وكان مطعم (مكسيم) في باريس مسؤولاً عن تقديم الطعام للضيوف ، لكن إذا فضل أحدهم طعامه القومي على أطعمة الطباخين الفرنسيين فله إحضار طباخه الخاص بالطائرة على حساب الشاه، حضر الإحتفالات ٨٦ ملكاً وأميراً ورئيساً، ووصلت تكلفة هذا الحفل الذي إستمر ثلاثة أيام إلى ١٢٠ مليون دولار، (٣١) فكان هذا العرض بمثابة (العرض الأعظم الذي لم يسبق للعالم أن شاهد مثله) (٣٢) ، ووقف الشاه ليقول " بعد مرور ٢٥ قرناً ، فإن العلم الإيراني يرفرف اليوم منتصراً مثلما كان في العصر المجيد ، وإسم إيران يحظى اليوم بتقدير العالم ، وإيران اليوم تحمل رسالة الحرية والمحبة

للجنس البشري في عالم مضطرب". [٣٣] كل هذا الإحتفال في مكان لايفصله سوى بضعة أمتار عن أزقة طهران وشوارعها الضيقة، حيث الفقر والجوع والمرض الذي كانت تتناوب دوراتهم على الغالبية من الشعب [٣٤]، وقد رأى بعض المراقبين أن ما حدث في (مهرجانات برسوبوليس) أثناء الإحتفال بذكرى تأسيس دولة فارس كان" النموذج الكامل لحماقة الشاه والمبرر الأخير للثورة عليه" [٣٥].

لقد كانت قاعة مكتب – الشاه– مجهزة بقطع كثيرة من الأثاث الفاخر المطعم بالذهب ، وعدد كبير من المرايا ، ومجموعة فاخرة من السجاد الثمين، أما المكتب نفسه فقد كان من طراز لويس الخامس عشر، وباقي الأثاث كان من طراز (روكوكو)*، هذا بالإضافة إلى ما نشرته مجلة (أوتو كابيتال) *Auto Capital* الإيطالية في ميلانو "مجموعة سيارات شاه إيران، والتي بلغ عددها قبل مغادرة إيران ٣٠٠٠ سيارة جميعها صناعة خاصة من أشهر الماركات العالمية"، ويلاحظ أنه أثناء إقامة فرح بهلوي في القاهرة بعد رحيل زوجها الشاه، عرضت شراء قصر القبة الذي كانت تقيم فيه ، وعرضت مبلغاً يقرب من ألف مليون دولار لشرائه، لكن الرئيس السادات إعتذر مؤكداً أن القصر ملك للدولة.[٣٦]

على أية حال، يرى البعض أن ثروة الشاه كانت تقدرما بين ٢٠٠ مليون وعدة بلايين دولار ، في حين يرى آخرون أنها ما بين ٧ و ١١ مليار دولار، إلا أن الأرقام السرية لأجهزة المخابرات العالمية تقول أن ثروة أسرة آل بهلوي كانت تقدر بحوالي ٣٠ مليار دولار، والحقيقة أن لا أحد يستطيع حصر ثروة الشاه ولا حتى ممتلكاته الظاهرة ، فهي موزعة في أنحاء العالم ، وما هو معروف فقط هو أن الشاه كان يعيش حياة أسطورية بكل معنى الكلمة.[٣٧]

كذلك فإن الشاه كان يملك مبنى مكوناً من ٣٤ طابقاً في نيويورك عبارة عن منشأة تسمى منشأة ألاني *ALANI*، وطبقاً للائحة إنشائها فهي منشأة لا تهدف للربح ، بل مؤسسة خيرية يديرها مجلس إدارة بهدف بث الألفة والتفاهم بين أفراد جميع الديانات.[٣٨]

الهوامش

(١) صادق زيبا گلام ، الثورة الإسلامية في إيران الأسباب والمقدمات ، ت. هويدا عزت محمد ،م. بديع محمد جمعة ،ط. القاهرة ٢٠٠٤، ص ١٥.

(٢) فاطمة الصمادي ، التيارات السياسية في إيران ، بيروت ٢٠١٢، ص ٢١.

(٣) أرنولد إبراهيميان، تاريخ إيران الحديثة، ت. مجدي صبحي، الكويت ٢٠١٤،ص ٢١٤.

(٤) أروند إبراهيميان، المرجع السابق ،ص٢١٦.

(٥) فتحي أبو بكر هاشم، الثورة الثقافية الإيرانية (دراسة تحليلية) ، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب جامعة عين شمس ٢٠٠٩ ،ص ٢١.

(٦) السيد زهرة ، الثورة الإيرانية (الأبعاد الإجتماعية والسياسية) ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ، ١٩٨٥، ص ٧٠ ؛ إبراهيم الدسوقي شتا ، الثورة الإيرانية (الجذور الأيديلوجية) القاهرة ١٩٨٨، ص ٢٧٠ ؛ صادق زيبا گلام ، المرجع السابق ، ص ص ٢٠ :٢٢.

(٧) أندرو سكوت كوبر، قبل سقوط الشاه بقليل (اتفاق النفط السري الذي أطاح بشاه إيران) ،ت حمد العيسي ، دبي ٢٠١٤م،ص٦٠،٤٩

*ويليام (بيل) إدوارد سيمون (١٩٢٧-٢٠٠٠) هو رجل أعمال ، ووزير الخزانة في الولايات المتحدة الأمريكية لمدة ثلاث سنوات في عهد الرئيس نيكسون والرئيس فورد وخدم حتى عام ١٩٧٧م. www.wikipedia.org 8-12-2015

(8) F.R.U.S., 1973–1976, Vol XXXI, Foreign Economic Policy, Doc 68. Memorandum From the President's Counselor for Economic Policy (Rush) to President Nixon,Washington, June 4, 1974,P.249.

(٩) أندرو سكوت كوبر ، المرجع السابق ، ص ٦٠ -٦١.

(١٠) نفسه ،ص٩٤،٨٢

(١) أندرو سكوت كوبر ،المرجع السابق ، ص ٩٥ - ١٠٠- ١٠٢.

*من الملفت للنظر أنه بعد عامين تماما من تاريخ هذه الرساله التي كتبت في ١٦ يناير ١٩٧٧خرج الشاه منفيا من إيران في ١٦ يناير ١٩٧٩.

(١١) علي ناغي علي خاني ، الشاه وأنا المذكرات السرية لوزير البلاط الإيراني أسد علم ، ت. سامية الشامي وعبد السلام نوير ، القاهرة ١٩٩٣، ص ٦٩٧.

(١٢) أندرو سكوت كوبر ،المرجع السابق ، ص ١٠٣.

(13)Milani A.,The Shah, New York 2011,P.436.

(١٤) گريگورى لوويش بوندارفسكي ، تاريخ توسعه طلبي أمريكا در ايران ،جـ١،ص٦٢.

(15)Milani.,Op.Cit,P.436.

(16)Moslem M., Factional Politics in post-Khomeini Iran,Syracuse University press, Syracuse- New York 2002,PP.57,58.

(17)Zahedi D.,The Iranian Revolution then and Now,Indicator of Regime Instability, Colorado 2000,P.85.

(١٨) محمد عبيد خليفة ، دور البازار في التحولات السياسية والإجتماعية خلال الثورات الإيرانية في القرن العشرين مع ترجمة كتاب (تقسيم بازار در قيام ١٥ خردا د)، رسالة دكتوراة غير منشورة ،كلية الآداب جامعة عين شمس ٢٠١٢، ص ١٣٥.

(١٩) برفند إبراهيميان ، إيران ١٩٠٠- ١٩٨٠ الثورات المعاصرة ، بيروت ١٩٨٠م ، ص ١٠٢.

(٢٠) برفند إبراهيميان ، المرجع السابق ، ص ١٠٥- ١٠٦.

(21)M.Ganji,Defying the Iranian Revolution from a Minister to the Shah to a Leader of Resistance,London 2002,P.5.

(٢٢) بيرفند إبراهيمان، المرجع السابق ،ص١٠٨.

(٢٣) حسن كريم الجاف، موسوعة تاريخ إيران السياسي ، المجلد الرابع ، بيروت ٢٠٠٨، ص٢٨٨.

* قد يكون الفكر التحديثي للشاه قد ورثه عن والده رضا شاه ، فيذكر أن زوجة الأخير قامت بخلع الحجاب في إحتفال عام أقيم يوم ٢١ مارس ١٩٢٨ في المسجد الكبير بمدينة (قم) ، لكن المجتهد – رجل الدين الذي يتولى عمليات التفسير – الذى كان حاضراً إعترض بشدة على هذا السلوك وإحتجت الجماهير أيضا ، مما دعا الجيش إلى التدخل ، وألقي القبض على عدد من الأشخاص وتم جلد المجتهد ، وأعلن يوم ٧ يناير ١٩٣٧ (يوماً للمرأة) ،و إعتباراً من هذا التاريخ أصبح إرتداء الحجاب ممنوعاً في الأماكن العامة ،كما فرضت قيود من نفس النوع على الرجال حيث كان يتعين عليهم إرتداء الملابس الغربية وإستبدال العمامة بالقبعة. فريبا عادل حواه، الثورة تحت الحجاب (النساء الإسلاميات في إيران) ،ت. هالة عبد الرؤوف مراد، القاهرة ١٩٩٥،ص٢١.

(٢٤) دانيل براور، العالم في القرن العشرين عصر الحروب العالمية والثورات، عمان ١٩٩٠،ص ٤٠١.

(٢٥)عبد الله إمبرطهماسبى، تاريخ شاهنشاه أعلى حضرت رضا شاه كبير ،دانشگاه تهران ١٣٥٥هـ،ص٣.

(26) Kapuseinski R., Shah of Shahs,Translated by. W.R.Brand and .K.Mroczkowska- Brand,London 2006,P.137

(٢٧) السيد زهرة ، المرجع السابق ، ص ٧١.

(٢٨) أسيمة جانو، التاج الإيراني ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص٣٢. ص ٢١١، محمد حسنين هيكل، مدافع آية الله (قصة إيران والثورة) ،القاهرة ٢٠٠٨،ص ١٢٥.

*من أكثر المقربين الذين عملوا مع العائلة الملكية، وقد عرفت الكثير من الأسرار داخل القصر الملكي وخارجه، جاء في مذكراتها حوادث وأحداث شخصية نشرتها بعد هروبها إلى إنجلترا عقب قيام الثورة. نفسه ،ص ٥١.

(٢٩) نفسه ، ص٥٢.

(٣٠) نفسه ، ص٢٠٨.

(٣١) أسيمة جانو، المرجع السابق، ص ٧٢؛ محمد حسنين هيكل ، المرجع السابق، ص ١٢٦؛إبراهيم الدسوقي شتا، المرجع السابق ، ص ٢٦٩.

(٣٢) ستيفن كينزر، العودة إلى الصفر (إيران وتركيا ومستقبل أمريكا) ،بيروت ٢٠١٢،ص١٣٩.

(33) Ganji,Op.Cit,P. XIII.

(٣٤) أسامة خليل ، الشاه من القصر إلى القبر، القاهرة ٢٠١٠،ص٢١.

(٣٥) أسيمة جانو، المرجع السابق، ص٢١٢.

*روكوكو: بالفرنسية Rocaille ومعناها الصدفة أو المحارة غير المنتظمة الشكل،هذا الطراز منتشر في المانيا وفرنسا على وجه الخصوص ،و هو فن ينتمي إلى الزخرفة في العمارة والديكور www.wikipedia.org15/12/2014 .

(٣٦) أسيمة جانو، المرجع السابق،ص ٢١٠.

(٣٧) أسيمة جانو، المرجع السابق،ص٩٤،ص٢١٠،ص٢١١.

(٣٨) حسين شريف، الإرهاب الدولي وإنعكاساته على الشرق الأوسط خلال أربعين قرناً،ج٢،القاهرة ١٩٩٧،ص٤٧٢.